

ومن قول حافظ في رثائه أيضًا:

لقد كنت أغشاه في داره وناديه فيها زها وازدهر
وأعرض شعري على مسمع لطيف يحس نبو الوتر

تتجلى في شعره القومي روح الحب الخالص للوطن، والشجوة الحزين على مآسيه، والاستمسك بالعزة والكرامة، والنسم والإباء، ولقد عبر بأرق القصائد عن شعور مواطنيه، وترجم عن آمالهم وآلامهم.

كانت وطنيته عميقة الجذور، عاش حياته لم يزر إنجليزيًا قط، ولم يذهب يوما إلى الوكالة البريطانية، في حين أنها كانت مع الأسف مقصد الكبراء والعطاء في ذلك العهد، وطالما استماله اللورد كرومر إلى زيارته ليكسبه إلى صف المناصرين للاحتلال، فاستعصم وأبى، ولما قيل له لعلك لو فعلت كنت اليوم رئيسًا للوزارة، قال: وماذا تفيدني رأسة الوزارة غير اغضاب ضميري وإرضاء ذوى المطامع وأصدقاء الجاه^(١).

كان صديقًا صدوقًا للزعيم مصطفى كامل، أيده في جهاده منذ الساعة الأولى ولم يكن يكتب مناصرته إياه في أى منصب تولاه.

كان محافظًا للاسكندرية سنة ١٨٩٦ - ١٨٩٩، وأراد مصطفى كامل أن يلقي بها خطبة من خطبه الوطنية الكبرى، فأوعزت إليه الحكومة أن يمنع إقامة الاجتماع الذى أعد لإلقاء الخطبة، بحجة المحافظة على الأمن والنظام، فأبى صبرى على الحكومة ما أرادت، ورخص بإقامة الاجتماع، وصارح الحكومة بأنه مسئول عن الأمن والنظام، وألقى مصطفى كامل خطبته.

ولما عين وكيلًا لوزارة الحفانية (العدل) في نوفمبر سنة ١٨٩٩ ظل على مودته لمصطفى، وكان في غالب الأيام يخرج من الوزارة ويعرج بدار اللواء المقابلة لها ليزور صاحب اللواء ويقضى معه الوقت الطويل، ولم يمنعه منصبه من المجاهرة ب صداقته له ومناصرته إياه في الوقت الذى كان الكبراء من الموظفين وغيرهم يخشون عواقب الاتصال به، وإلى ذلك يشير شوقى في رثائه لاسماعيل صبرى إذ يقول:

وسح الشباب وقد تخطر بينهم هل متعوا بتمسح وطواف؟
لو عاش قدوتهم ورب (لوائهم) نكس (اللواء) لثابت وقاف
فلكم سقاه الودّ حين وداده جَرَّبْ لأهل الحكم والاشراف

(١) ذكر هذه الواقعة الأستاذ أحمد الزين في مقدمته لديوان إسماعيل صبرى ص ٣٢.